مقتطفات رمزية .. مِمّا كتبته الصحافة اللبنانية

حول استشهاد الرفيق غسان كنفاني

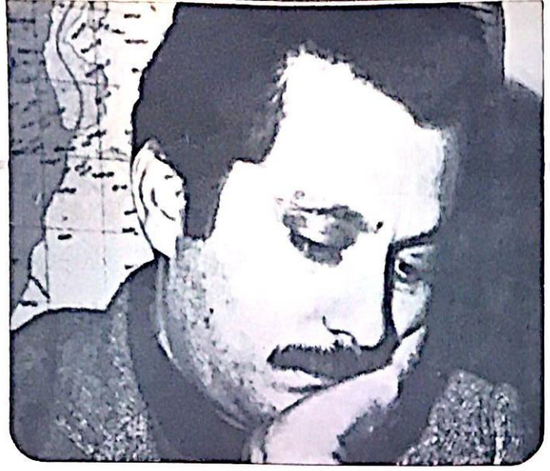

كان للشهيد في الصحافة اللبنانية موقعا خاصا .. فبالاضافة الى امكانياته الخلاقة .. كان الزميل المحبب الى قلوب زملائه في اكثر من صحيفة ومجلة ..

وعندما مضى .. ترك فراغا داميا في كل قلب .. وعبر بعض زملائه عن فجيعتهم به .. عن مشاعرهم امام استشهاده .. نقول بعض زملائه لان الآتي مجرد نماذج مما نزفته عشرات القلوب كلمات محبة :

الاقلام والبنادق

فكتب الاستاذ سعيد فريحة في صحيفة « الانوار » ما يلي :

بكيته امس ولم اعرفني بانه كان ، على انسانيته ورهافة حسه ، يكره البكاء ويخشى على ارادة النضال في الامة العربية من طوفان الدموع .

كان يؤمن بالنضال ويعيشه بكل لحظة من لحظات حياته وكل نبضة من نبضات قلبه وكلمة من لمحات فكره ، كان الحياة خارج النضال لا تعنيه ولم تكتب له .

بل كان غسان كنفاني يزهم لحظات نضاله بالمزيد المزيد من الجهد والعطاء كان ذلك الشاب الذي يعيش على ابر الاتسولين ، في سباق الحياة والاستشهاد .

واستشهد غسان وهو في اول السباق ، وجاء استشهاده يؤكد وحدة النضال بين القلم والبندقية ، ولكنه جاء من جهة ثانية يفجر الثقة والغضب ضد جريمة الاغتيال وصانعيها البرابرة في تل ابيب .

ولكن هذه الجريمة اثبتت ان اسرائيل التي تملك القوة والجبروت ومظاهر الدولة الحديثة ، لا تتورع عن اتباع اساليب فيها من شريعة الغاب اكثر مما فيها من الثقة بالنفس والاطمئنان الى المستقبل .

ان في اغتيال غسان كنفاني امام منزله في بيروت دليلا جديدا على ان اسرائيل تخشى في المقاومة الفلسطينية الافلام كما تخشى البنادق .

وشرف للمقاومة ان يكون فيها قلم مثل قلم غسان ، وعبارة للنضال كعبارته ، وسباق الى الاستشهاد كسباقه .

وشتان بين سباق الاخ الشهيد وسباقي انا الان بين الدمعة والكلمة ، بين الحزن على شبابه والتقمة على فاتيه .

وطن غسان

كما كتب كمال مطر في نفس الصحيفة ونحت عنوان « وطن غسان » ما يلي :

غسان لم يمت بالقنبلة التي تفجرت ، مات من قبل ، بالعجز العربي عن القتال .

وهذا العجز اتاح لاسرائيل الغدرة على ممارسة الاغتيال ، سياسة لاصطياد ونسف المقاتلين ، وهم قلة مصطفاة ، واحد في الر الاخر .

وليس صحيا على العدو ، بتركيبه العنصري والاستيطاني، ممارسة الاغتيال اداة لتصيد وقتل العناصر الفلسطينية وغير الفلسطينية ، القاتلة ، ثم التنطح والاعلان انه قتل مائة مليون عربي ، وشل عن الحركة ودمر امة بالكامل .

في الوقت الذي نعرف فيه اسرائيل ، انها اذا ما واجهت الامة العربية ، نسبة ما تقدر عليه هذه الامة من المهنة الحقيقية للمعركة ، اعجز من ان تحقق لنفسها ما تريده من المكاسب او ما تحققه منها الان ، واعجز من ان تفرغ الى الاساليب التي تستخدمها اليوم ، بالمجزفة وبالازدراء ، ازاء العرب .

ولكن حين ياخذ بعضنا في العالم العربي ، على عاتقه مهمة استبدال الاوصاف الحقيقية للعبادرات القاتلة الخلاقة ، باخرى مستمدة من قاموس العدو يلصقها بهذه المبادرة او تلك ، حفاظا منه على طابع « التقدمي » لشعاراته المحنطة والمتخاذلة .. حين يذهب هذا البعض كل مذهب على هذا الطريق الانهزامي التخاذلي، فان هذا معناه منح واضفاء طابع « الشرعية الكاملة » على محاولات اسرائيل لاغتيال وقتل ونسف وتدمير كل عنصر عربي مقاتل ، وكل عنصر عربي يمكن ان تستدرجه الاحداث الى القتال .

لقد ابيح للعدو ان يوقف « العجز العربي » في خدمة مخططاته ، واخذ ، على هذا الصعيد، « شرعية خاصة » لسلوكه في التعامل مع المقاتلين ، واعتبارهم ظاهرة شاذة للاجئات ، بالاغتيال الغدر حينا ، وبالمعارك المفرقة ، القادرة ، غير المكافئة والمكشوفة الظهر ، احايين كثيرة .

من مثل هذه الثغرات المفتوحة في جبهة المواجهة مع العدو ، سللت يد العدو وامتدت بالغدر الى القاتل غسان كنفاني .

وغسان ككل فلسطيني ماساته ليست في موته . فلقد سجل بيديه اسمه في « خانة » الموت . ماساته انه ، ككل فلسطيني مقاتل ، ممنوع من الموت فوق تراب وطنه فلسطين .

وككل فلسطيني مقاتل ، عاش محروما من الوطن ، اعطى كل حقوق الموت ، في المكان الذي يختار ، فوق اي تراب يختار .. ما عدا ارض وطنه .. فوق تراب فلسطين .

ومن هنا كان غسان ، الذي ليس له وطن مادي قائم الان ، يعتبر معركته مع العدو المغتصب ، ارضها كل العالم . ولفها كل لفات العالم ، بدءا من ارض ولفه العرب وانتهاء بارض ولفات كل القارات .. وهكذا عاش ومات غسان رمزا لالغاء الحدود ، ورمزا لمعركة اوسع واشمل .

وبسبب المعركة ذاتها ، العمقه والبعدة ، لم تكن الارض خارج وطنه الاصلي ، معوضه امامه دائما . بل على العكس ، فقد واجه خلال ممارساته القاتله والنضالية ، واصطدم باكثر من اسرائيل واحده في العالم . واكتشف بالنشاط العملي ، كقل ثوري طامح للثغر ، وكقل مقاتل طامح للتحرير ، ان الطريق الصعب الى وطنه يمر عبر عشرات الاوطان المقهوره بالاحتلال ، او المسحوقه بالتسلط ، والمقيدة بشكبات المصالح والامتيازات .

وموت غسان كنفاني على ارض لبنان ـ وهنا عبره درس الدم ـ وموت اي فدائي اخر مقاتل فوق اية ارض عربية ، يمنح اي فلسطيني ، وكل فلسطيني ، الحق بالقتال فوق كل ارض رواها دم غسان ، وروتها دماء الشهداء من قبل غسان ، ومن بعد غسان .

كان نصف حديث غسان اليومي عن الموت .. لانه ، بنبضه اليومي الثوري ، بحسه المتدود الى القتال ، بفكره المفتوح على معطيات مرحلة العجز الراهنة ، بعمونته الواعيه لدلالات ما يجري وما يحاك ضد وطنه .. بكل ولكل ذلك ، كان مدرك ان الرفض الذي يمارسه مع جبهة من الرفاق المقاتلين ، ازاء الهجمة الاسرائيلية ـ الامريكية الرجعية ، ليس للنصر التام المنجز ، ولكنه من اجل كلمة « لا » كبيرة وصارخة ومدوية .

لا .. ترجم الافاق ، وتقول للعالم ان الامة العربية تملك ، وسوف تظل تملك ، طاقة الرد على العدوان ، وكل عدوان . وان المقاتلين اليوم من رجالها ، لا يمثلون سوى جزء بسيط جدا من مجموع طاقاتها ، يمثلون ضميرها النضالي المتحفز ، المتوثب بالحرير والقدم ، ونغ القاتل للموت غسله او الموت ناصرا ، او الموت خنوعا او جبنا او تخاذلا . غير القاتل للموت بأية صيغة جاء .

غسان ـ اذا ـ لم يمت بالقنبلة التي تفجرت فتلته فقط دواعي العجز العربي عن القتال الشامل ، فاستشهد ، وهو يطوي المسافات الى وطنه ، معتبرا باكثر من اسرائيل واحدة ، نوبا فوق ارض كل العالم .

فنان المقاومة

وتحت هذا العنوان كتب ابراهيم سلامه :

انا عاجز عن رثاء غسان كنفاني

ارثيه نثرا ؟ ارثيه شعرا ؟ ارثيه بقصة ؟ ام برثاش !..

كان غسان الاربعة معا .

كان القلم وكان البندقية . وجه الاول نحو الثانية ، ثم وضع الثانية في خدمة الاول .

كان منسجما مع نفسه ومغوفا علينا .

انفعلنا ؟ نعم .

حزنا ؟ نعم .

حقدنا ؟ نعم .

هذه العوامل الثلاثة جادت مرة واحدة ودفعة واحدة ، ولا يستطيع احد ان يميز ايا منها كان الاقوى ، وايا منها كان الاسبق .

يا اهلي الفلسطينيين ، ويا ارقى العرب .

كنت واحدا في عالم المهاجرين .

مهاجرا بين الفلسطينيين ، مهاجرا بين العرب مهاجرا الى القصة الى الادب ، الى المسرحة ، الى الصحافه .

المهاجر الاكبر كنت ، لانك جمعت في داخلك هجرين .

هجرة الارض وهجرة العمل عن تاريخه .

كنت بهرب من شبح الموت باسمرار ، في اللجوء الى العمل المكثف الغزير الذي يوازي اساءة منه رجل في عشرين سنه .

كان طموحك ان يواجه الموت لتكشف الشيء الوحيد الذي بقي عليك سرا ، فجاءك غدارا ذليلا وكانه تكرار مسوه لساعه الولاده .

غدر بك القدر . جمع اهلك (الاب والام والاخت) المشردين في هذا الوطن الحالم الناعس المنقط ليجمعوا اليك .. فكانت اقسى لحظة وداع عائليه !.. وداع فاق في غرابه وماساويته كل قصصك الرائعه وكل خيالك الطيار .

***

يا اهلي الفلسطينيين ويا ارقى العرب ..

صدور الصحف العربية التي كانت خبزك اليومي بشرتنا امس بالاستعداد لضرب المصالح الامريكية . وبين البيان العربي والتنفيذ الاسرائيلي ، ضربوك في قلب بيتك ، في قلب سيارتك ، في قلبك . وسنعم الاسطورة ، المأساة . بيان عربي وتنفيذ صهيوني .

يا ماسانا كم كبرت ؟!..

من مرحلة خصي المواقد العربية الى مرحلة خصي الاقلام العربية والثورة الفلسطينية اعترف لك ان قلمي عاجز عن الكتابه ، وان الحبر يجف في قلمي ، والدمعة سوداء بلون المداد .

كنت واحدا من الاقلام التي يصعب مبارانها ، فكيف برثائها ساعة الحزن الكبير والحقد العظيم .

سلك طريقا آخر

وفي صحيفة « ألنهار » كتب اكثر من محرر حول استشهاد غسان ..

فكتب عبد الكريم ابو النصر :

غادر بيروت في الصيف . صباح يوم سبت . لكنه لم يصعد الى الجبل . سلك طريقا اخر . ادار محرك سيارته . كان الطقس حارا صباح ذلك السبت . الناس يصعدون الى الجبل وهو كان يريد ان يسلك طريقا اخر . ادار المحرك . ترى هل فكر في شيء ؟ تلك اللحظة الاخيرة ماذا كان يدور في ذهنه ؟ هل قال شيئا ؟ هل صرخ ، على الاقل ؟

ادار المحرك .

لم يكن يحب الجبل ، فلم يصعد الى الجبل . سلك طريقا اخر .

« العالم الاخر » .

الم يكن العالم نفسه ، عالمنا ، بالنسبة الى غسان كنفاني ، عالما اخر ؟

الم تكن هو ، دائما ، في العالم الاخر ؟ ماذا تبدل عليه الان بعدما ادار محرك سيارته ؟ « هل سمعتم الانفجار ؟ » .

***

لا شيء يختصر غسان كنفاني كرواية غسان كنفاني : « رجال في الشمس » .

ذلك الرجل الذي حياته صحراء قاسيه لا تنتهي ، نقطعها في الصباح وفي المساء ، في الذهاب وفي الاياب ، في الحر والبرد . من يوم هاجر فلسطين .

ثم لما وجد مكانا له في الصحراء استقر ، بدا نوعا اخر من الركض . بدا يركض ليسبق الزمان . كان ينتصر ـ وكان يردد باستمرار ـ انه لن يعيش طويلا وان شيئا ما سيحدث له . وكان يريد ان يسبق هذا الوعد ، ان يسبق الحياة نفسها ، فكان يكتب بسرعة سرعة ، وكان ينسج بغزارة ونوع ، فالثوره بالنسبه اليه لم تكن ذات وجه واحد ، وان كانت ذات قلب واحد كانت معدده الوجوه ، تعدد مواهب غسان كنفاني : وجه قصصي ، وجه روائي ، وجه نقدي ، وجه سياسي ، وجه عقائدي ، وجه جارح ، وجه ساخر . فكتب في كل شيء ، وربما ، لهذا السبب ، كان يختلف عن الثوار الاخرين .

ولد في عكا

.. وكتب امين معلوف حول عودة غسان الى عكا قائلا :

ولد في عكا
وطرد من عكا
واراد العودة الى عكا
فعلوه
جلجله فلسطين سار عليها كامله
ولد في عكا
وعمل في دمشق
ولوحق في الاردن
واكوى بشمس الصحراء
ودرّس في الكويت
وكتب في بيروت
وعلى بل قرب بيروت
صلبوه
جريمته بدءا مع اول كلمة في سيرته :
« ولد في عكا ... »
ثلاث نقاط ؟
لا بل نقطه واحدة
مصيره نقرة منذ الكلمة الاولى
منذ اللحظه الاولى
هل يمكن ان يولد الانسان في عكا ؟
ما هي عكا ؟ ابن هي عكا ؟
هي لا شيء في لا مكان .
من هم ابناء عكا ؟ ما مصير ابناء عكا ؟
هم لا احد ومصيرهم العدم .
غسان ابن عكا
كان مصيره الموت
ضحيه في ضاحية
في ضاحية من بلدي
نفجر غسان كنفاني
مزقه اشلاء حضارات غريبة
ولكن انتصامه لم تمزق
انتصامه الساخرة تقول :
هنيئا للقبيلة العربية التي خلفت تارا لدى قبيلة اسرائيل !
هنيئا للقبيلة العربيه التي ارغمت اسرائيل على العودة الى حجم عصابة ؟
وجعلت قادة فلسطين يمونون كرجال دولة !
هنيئا للكاتب والصحافي الذي اغتالته فعالية ما كتب وما قال !
انتصامته الساخرة تقول :
هنيئا لمن اعتبرته اسرائيل عدوا فقتلته !
تقول هذا ، ثم تطير
وتحوم حول عكا
الى الابد .

اليد المجرمة : اسرائيلية

وكتب الزميل وفيق الطبيي في صحيفة « اليوم » ما يلي :

الحادث الاجرامي الذي اودى بحياة الزميل غسان كنفاني صاحب « الهدف » ومديرها المسؤول ، والذي اثار استنكارا وحزنا عامين . هذا الحادث ، هو من تخطيط اجرامي لا خلقي ولا انساني ، وضعته ونفذته ايدي سوداء مجرمة اعتدت على جميع اللبنانيين ، على قيمهم وامنهم واستقرارهم في الوقت الذي خططت للقضاء على مناضل وطني واديب ملتزم وصحفي شريف .

فمن هي هذه الايدي التي عبثت واجرمت ؟ هل يمكن ان تكون عربية ؟ الجواب السريع بالطبع لا ، فمناضل مثل غسان كنفاني لا يفكر بتصفيته الا اعداء القضية الفلسطينية بصورة خاصة واعداء القضية الوطنية بصورة عامه . وفي وسط هؤلاء ينبغي ان نبحث عن المجرمين الاثمين.

***

في اعقاب حادث اللد تميزت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين وتعليقات الصحف الاسرائيلية بالتحريض الصريح والمباشر على اتباع سياسة العنف الشخصي ضد المقاومة الفلسطينية ، وطالب هؤلاء بالقيام بمثل هذه الملاحقات في بيروت بالذات فهي المدينة المفتوحة والعالمية حيث عشرات الالاف من السياح الغربيين يغرقونها والاف الاجانب يسكنون فيها بصورة دائمة . وكشف صحفي بريطاني هو جون بولوك في جريدته « الصانداي تايمز بلغراف » عن ان اصواتا كثيرة طالبت في الايام الاخيرة باقامة منظمة بهودية خاصة من المتطوعين لمحاربة الفدائيين في قواعدهم ...

نرجع الى اقوال الصحف والمسؤولين الاسرائيليين ونتساءل : هل بدات « اسرائيل » تنفيذ مخططها الاجرامي في بيروت (المدينة المفتوحة) على حد تعبيرهم ؟

***

ان « اسرائيل » ذات التاريخ الحافل بالاجرام اتبعت اسلوب الانتقام الشخصي في فترات عديدة في بعض المواسم العربية واستخدمت اساليب مماثلة على الارض الاوروبية وتذكر على سبيل المثال الطرود الملغومة ، التي ارسلتها المخابرات الاسرائيلية وقتلت الشهيد معطفى حافظ رئيس المخابرات المصرية في قطاع غزة وكان مسؤولا عن ارسال مجموعات من الفدائيين الى داخل الارض المحتلة ، ثم ملاحقة العلماء الالمان وقتل بعضهم واخيرا نسف منزل الدكتور وديع حداد احد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي ينتمي اليها الشهيد غسان كنفاني

واخيرا ، لا بد من الذكر بالحملة المسعورة التي شنتها الصهيونية على قادة الفدائيين في الصحف الفرنسية والانكليزية وطالبت بتصفيتهم كرد اسرائيلي رادع بعد عطيه اللد .

نورد هذه الامثله لعلها تعطي جوابا على السؤال الذي طرحه المواطنون عندما سمعوا بالحادث المفجع ولعلها ايضا تقطع الطريق على الخبث « الاسرائيلي » الذي سوف يشيع بوسائل اعلان وطرق عملائه ، ان الحادث قد يكون تصفية داخلية او نتيجة خلافات شخصية ..

يبقى ، ان « المدينة المفتوحه » الى متى ستبقى كذلك .. والى متى يستمر العنصر في انخاذ التدابير الزاجرة التي تمنع العملاء والمجرمين من ان يسرحوا ويمرحوا ويعتدوا ويفجروا ...

***

غسان كنفاني الذي قضى شهيدا كما يقضي الجندي في ساحة الشرف لا يبكى .. كما لا يبكى الشهداء انهم الامثوله والرمز والاستمرار .

ابوهم الذي ينبغي تبديده

وتحت هذا العنوان كتب رياض ابو ملحم في « المحرر » :

لا نقول ان اسرائيل فتحت باب العنف باغتيالها غسان كنفاني بل انها بدات مرحلة جديدة ومختلفة من العنف لا بد ان يبرز ما يقابلها من الجانب الاخر ، ذلك ان اسرائيل قامت على العنف وبه تعيش وتستمر . لكن العنف والقهر ومحاولة فرض الامر الواقع ، بالقوة تولد المزيد من العنف ، وهو ما يجب ان يتوقعه العدو ويتحمل تبعاته كاملة .

ان الذهاب وراء تفسيرات كالتي ذهبت اليها اذاعه لندن لس غياء واستغباء وحسب بل ما هو محاوله للتضليل وذر الرماد في العيون ولا فائده من الدخول حول كيفية تمكن العملاء الاسرائيليين من تنفيذ الجريمة لان ذلك سيبتعد بنا عن النقطه الاساسية في الموضوع وهي الانتقام للجريمة .

ان الوهم الذي نقع فيه اسرائيل دائما هو اعتقادها بانها تستطيع ان تضرب في اي مكان من الارض العربية دون ان تتلقى ضربات مماثله ، ومع ان عملية مطار اللد التي نفذها اليابانيون الثلاثه مزقت هذا الوهم فان العدو الاسرائيلي ما زال يتعرف تاثير وهمه المدمر .

ما يمكن قوله الان ، ودون الوقوع تحت تاثير الانفعال ، هو انه لن يكون بمقدور اسرائيل ان تمنع عملية الاسقام الموقعة ، كما لن تكون باستطاعتها ان تخدع العالم مرة اخرى باعطاء صور غير حقيقية عن العمليات التي تنفذها المقاومة الفلسطينية ضدها . فالجريمة التي نفذها عملاؤها في بيروت من الوحشية بحيث لا يمكن تبريرها حتى وان تكن لهم ولن تعترف بها بصورة رسمية .

ان افضل سياسة يمكن اتباعها تجاه اسرائيل هي توجيه ضربات انتقامية ضدها تفوق ضرباتها العدوانية . فالمجتمع الاسرائيلي لا يتفكك ولا يصاب بالانتهاك الا بتاثير مثل هذه الضربات ، وهذا ما اشارت اليه بوضوح عملية مطار اللد .

انتصر على اسرائيل وغرامها بموته

وحول جنازة الشهيد كتب ابراهيم شماس في « صوت العروبة » :

عشرات الالاف التي شيعت جثمان الشهيد الى مثواه الاخير ، لم تكن تعني حشدا جنازيا ولا مشاركة عاطفية ولا سرا وراء نعش لفرد من الافراد بل كانت حشدا نضاليا يؤكد التزام الجماهير العربية بالثورة الفلسطينية واهدافها ، ومشاركة بالبعد العملي على الجريحة بتاكيد التضامن مع افكار الشهيد ، وسرا وراء هدف معين ان ماب احد المناضلين من اجله بقيت افكاره حية في نفوس الملايين الذين تمثلوا بالالاف المؤلفة في لبنان العربي .

ومن البديهي ان الشهيد غسان كنفاني لم يكن يعرف من اللبنانيين معرفة شخصية بصورة مباشرة او غير مباشرة كل هذا العدد من الناس الذين شيعوه ، ولو استطاع غيرهم المشاركة لفعل دون تردد ، ولكن اللبنانيين ـ جميع اللبنانيين ـ شاركوا بالغضبة على الجريمة النكراء في مدنهم وبلداتهم وقراهم النائية ، واعتبروها موجهة الى كل واحد منهم ، طالما انها وجهت الى رجل اختار لبنان ساحة لنضاله الفكري وخاض معركته مع الكلمة المكتوبة والفكر الحر على الارض اللبنانية ، مؤكدا بعمله هذا ان لبنان جزء لا يتجزأ من القضية العربية الكبرى ، وموطن للنضال في سبيل الحق والعدل والحرية .

لقد بكت النساء غسان ، ودمعت عيون الرجال دما ، لا على الرجل الفرد الذي قتل ، بل على فكرة الجريمة وتعقدها بوحشية وانهماك حرفة الحربه في ارض الحربة وممارسة الهمجية اسلوبا للرد على الفكر بالمفجرات ، واعتبار المناضل الذي يحمل القلم عدوا يقضي الرد عليه باللجوء الى كل هذا العنف وكل هذا التحدي لمشاعر الانسان في معتقداته السياسية وايمانه بوطنه وارضه .

ان جميع اللبنانيين دون استثناء ، بجميع معتقداتهم وانماءاتهم الفكرية والسياسية وجميع ابناء الامة العربية ، والمناضلين الشرفاء في العالم قاطبة ، عشوا وراء نعش غسان كنفاني ، منهم من مشى فعلا ، ومنهم من شارك في تشييعه وقد تمكن غسان بموته ان يهزم اسرائيل كما هزمها في حياته الى الدرجة التي دفعتها الى ارتكاب جريمتها الهمجية ، نعم .. لقد انتصر غسان على اسرائيل بموته ، اذ بموته انكشفت امام العالم وبدت عارية بكل الزيف والخداع والتمويه الذي تمارسه امام العالم قاطبة

كان غسان قضية بلاده

وكتبت « الانباء » عدة مقالات وتعليقات حول الرفيق غسان واستشهاده .. ومما كتبه فائز الفقيه ان :

.. يبقى غسان كنفاني رغم اغتياله وموته ، رمزا لتجدد الحياة ، لاستمرارها .